علي

رسالة الطب العربي

610.953:A39rA

علي - زكي

رسالة الطب العربي

610.953
A39rA

1 JUN 1973

15 Apr 69

APR 15 '60

JAFET LIB.
11 AUG 1991

JAFET LIB.
7 JUN 1977

22 Jun 65

1 Feb 68

19 JAN 1984 Lib.

JAFET LIB.
9 JUN 1978

مهدى الى مكتبة الجامعة الامريكية ببيروت
من المؤلف
610.953
A39rA
C.1

رسالة

الطب العربي

وتأثيره في المدنية أوربا

تأليف

الدكتور أحمد عيسى

طبيب بمستشفى قصر العيني

Gayh. Cat. 1933

[حقوق الطبع محفوظة]

49185

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٠هـ — ١٩٣١م

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٠١٦/١٩٣١/٢٠٠٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نهض الشرق فى العصر الحاضر نهوضا قويا يستعيد به ما كان لأسلافه الأمجاد من المدنية والعظمة والاستقلال، وسرت فى هذا الجيل روح الحمية وعزيمة الإيمان بحضارة السلف، ولقد حبب إلى نفسى البحث فى آثارهم، والاستضاءة بنور هدايتهم، فدونت هذه الرسالة إحياء لمآثر العرب العظيمة، ومفاخرهم النبيلة، وهأنا أخرجها للناس ليجدوا فيها علما مأثورا، ودليلا ساطعا، وحجة ناطقة بحضارة العرب ومدنيتهم العظيمة ممثلة فى الطب العربى الذى جعلوه وثيق الأركان، رفيع البنيان، وخلدوا معالمه فى لوح التاريخ ٤

الدكتور
زكى على

مصر فى جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ هـ (سبتمبر سنة ١٩٣١)

نظرة إجمالية فى خلال العصور

لننظر بأبصارنا نخترق حجب التاريخ وستر الأحقاب قرونا عديدة لنرى العرب فى جاهليتهم أهل الفطرة والبداوة ، ولهم فى الطب معرفة يسيرة مبنية على التجربة ، واعتمادهم فى نقل العلوم على الرواة ، وبينما العرب فى ظلام الجاهلية على فترة من الرسل إذ بطلوع فجر الإسلام والرسالة المحمدية فدعى القوم الى الإسلام فقبلوه ، والى القتال فى نصرته فلبوا وسلبوا السيوف أغمادها وأخذوا بأطراف الأرض زحفا زحفا والإسلام يمتد سلطانه وينتشر ضياؤه .

فى ذلك الوقت كانت الطائفة النسطورية من المسيحيين الذين اضطهدهم حكام بيزنطية قد فروا لاجئين الى بلاد العجم ونزلوا بجنديسابور فى جنوب غرب فارس وكانت معهم الترجمة السريانية لكتب مشاهير اليونان كأبقراط وجالينوس وأصبح لمدرسة جنديسابور التى اجتمع بها هؤلاء النسطوريون شأن هام فى تاريخ الطب العربى إذ أنها تعتبر ينبوعه الأول ، فإن العرب لما فتحوا فارس فى القرن السابع قدروا شأن هذه المدرسة وفيها اتصلوا بعلوم اليونان حيث ترجمت الى العربية فى القرنين الثامن والتاسع وانتقلت فى صبغتها العربية فيما بعد الى بغداد .

وفى عصر الخلفاء الراشدين ودولة بنى أمية انتشر الإسلام بسرعة وامتدت فتوحاته شرقا وغربا وتدفقت جيوش المسلمين على الشاطئ الإفريقى للبحر الأبيض ففتحوا مصر وتوغلوا فى شمالى إفريقية وأسسوا مدينة القيروان (بالقرب من تونس) واستولوا على صقلية ثم فتحوا أسبانيا فى أوائل القرن الثامن ووطدوا دعائم دولتهم بالمغرب، فكان ذلك فاتحة عصر جديد فى تاريخ العلوم والآداب؛ ولما تمت الفتوحات العربية وانتقلت الخلافة الى بغداد بقيام الدولة العباسية اتجهت عناية الخلفاء الى إحياء العلوم ونشرها ونزل النسطوريون بساحاتهم فى بغداد فأكرم الخلفاء مثواهم وجعلوا المؤلفين والمترجمين موضع الإجلال والتقدير دون تمييز للأجناس، وذاعت شهرة الخلفاء كمحبين للعلوم وناشرين للمعارف، وأمروا بترجمة كافة الكتابات اليونانية والسريانية والهندية التى أمكنهم الحصول عليها بالغزو أو الشراء أو المبادلة فأدى ذلك الى ارتفاع شأن اللغة العربية، وهى لغة القرآن الكريم وصارت بغداد مركز الآداب العربية ومصباح العلوم فى قلب الأمة الإسلامية فى « العصر الذهبى » من سنة ٧٥٠ الى سنة ٨٥٠ ميلادية، وهذه المدة كانت أزهى عصور الثقافة العربية، ففى هذا العصر تمت ترجمة أغلب الكتب اليونانية الى العربية وحور العرب الطب اليونانى ونقحوه بما يلائم مقتضيات الدين والمناخ

والجنس واللغة، كما كان الخلفاء فى ذلك العصر يملكون عددا لا يحصى من المخطوطات الأصلية لعلوم الأقدمين التى ترجموها الى لغة الإسلام وحفظوها فى (بيت الحكمة) الذى أسسه الخليفة المأمون فى بغداد ، وما أتى القرن العاشر حتى كانت العربية لغة الدين والعلوم والآداب والسياسة والمعارف والمدنية .

أما ظهور الكتب العربية فابتدأ فى القرن الثانى الهجرى (٧١٩ — ٨١٦ م) أما الكتابة المستقلة فى الطب العربى فقد ظهرت فى القرن التاسع ووصلت أشدها فى الحادى عشر .

ومن المعلومات التى يمكن استقاؤها من مثل كتاب (الفهرست) الذى ألف بعد العصر الذهبى لا نكاد نكون مبالغين اذا قلنا إن ما وصل الينا من مؤلفات العرب ليس واحدا من ألف من المؤلفات التى كانت موجودة إذ ذاك بسبب ما أتاه المغول من التخريب والتدمير لما دخلوا بغداد سنة ١٢٥٨ م وجعلوا الثقافة العربية أثرا بعد عين .

ويجدر بنا أن نذكر أن بعض الأصول الطبية اليونانية قد فقدت بينما بقيت معروفة لنا بفضل العرب الذين ترجموها الى العربية فى مخطوطات لا تزال محفوظة الى اليوم .

وكما أوتى العرب من الحروب نصرا عظيما، فقد أوتوا فى العلم فتحا مبينا، وكانت بغداد فى العصر الذهبى أغنى المدائن وأعظمها

حضارة وعمرانا فى العالم كله، ويخبرنا المؤرخ «جيبون» أنه كان بها فى وقت ما ٨٦٠ طبيبا مرخصا لهم بمزاولة مهنة الطب، كما كان بها مستشفيات عديدة ومدارس كثيرة مما أسسه هارون الرشيد والمأمون.

وكما كانت بغداد فى المشرق، كانت قرطبة فى الأندلس بالمغرب قد بلغت أوجها حتى لقد كان فيها كل فتى وفتاة فى سنّ الثانية عشرة تمكنه القراءة والكتابة، وذلك فى وقت كان فيه بارونات المسيحية بأوربا رجالا ونساء لا يكادون يعرفون كتابة أسمائهم !!

بل يقال إنّ قرطبة فى قمة مجدها فى ظل الإسلام كان بها ٣٠٠ مسجد و ٢٠٠,٠٠٠ منزل ونحو مليون من السكان وخمسون مستشفى، أما مكتبتها فقدر أنها احتوت — على الأقل — على ٢٢٥ ألفا من المجلدات وأصبحت جامعة قرطبة فى القرن الثامن الينبوع الذى تتفجر منه العلوم العربية كما ازدهرت مدينة « غرناطة » فى العصور الوسطى، وصارت أفخم مدن أسبانيا، وكما كانت « الحمراء » من أعظم بدائع صنعة العرب فى أسبانيا وبقيت تذكارا فريدا للفن الإسلامى والحضارة العربية فى تلك العصور.

ولقد دام الاتصال الفكرى بين المشرق والمغرب فى ظل الخلافة ببغداد وقرطبة بفضل تعضيد كبار المسلمين وأغنيائهم

للعلوم والفنون ، وبذلك سرت العلوم والآداب من أقصى الشرق الى أقصى حدود النفوذ الإسلامى فى غرب أوربا ، وظل العرب فى الأندلس رافعين لواء العلوم عاليا من القرن التاسع الى الثانى عشر ، وألفت كتب كثيرة فى قرطبة ، وأدخلت الدراسات الفلسفية والعلمية فى مدارس الأندلس ، وآتسع آنتشار العلوم الطبية فى المغرب .

ولقد آتصل المسلمون بالمسيحيين فى أسبانيا وصقلية من القرن الثامن الى الثانى عشر ، وفيهما أخذ الغرب اللاتينى علوم الطب عن العرب ، إذ ظلت صقلية منذ فتحها العرب مركزا للثقافة العربية الى أن فتحها النورمانديون سنة ١٠٦١م ، أما المركز الثانى للثقافة العربية فكان الاندلس ومقرها قرطبة ، بينما أنشأ «ريموند اللاتينى» كلية للمترجمين اللاتين فى طليطلة التى صارت أهم مركز على الإطلاق لنقل الثقافة العربية وعلومها الى الغرب اللاتينى بترجمتها الى اللاتينية وأصبحت الكتب المترجمة ذات تأثير غالب فى عقول مفكرى الغرب من القرن الثانى عشر الى الخامس عشر .

ولقد رفع العرب كرامة مهنة الطب من مستوى وضيع الى مركز رفيع ، وهم الذين نقحوا التعاليم القديمة وآقتفوا آثارها على أساس منطقى وأضافوا اليها تجاربهم ، وجعلوها ملائمة لأيامهم ،

وبلغ من رقيّ ثقافتهم أن الطبيب فى عهد الإسلام كان لابدّ له — علاوة على معرفة الطب — من الإلمام بأصول الدين والفلسفة والفلك والموسيقى وعلم النجوم وكتب جالينوس وطريقته .

والعرب هم الذين أعطوا الغرب طريقتهم فى الأعداد فحلت محل الأرقام الرومانية العقيمة، وهم الذين نهضوا بعلم الكيمياء ووسعوه وطبقوه على الطب واكتشفوا فيه كثيرا، كما اخترعوا فنّ الصيدلة وحسنوا فنّ تركيب الأدوية بما أدخلوه من المستحضرات اللطيفة والحلوة المذاق، كما أن الغرب مدين للعرب بأنهم الذين أدخلوا فكرة امتحان الأطباء المتخرجين لمزاولة مهنة الطب، وأيضا نهضوا بالمستشفيات وأنفقوا عليها بسخاء عظيم؛ والعرب كانوا أول من أدخل الرسومات والأشكال المنظمة فى كتبهم الطبية .

أما كتاب العرب من الأئمة الأعلام من الأطباء والفلاسفة فى خلافة المشرق كابن سينا والرازى وعلىّ بن العباس، وفى خلافة المغرب كابن رشد وأبى القاسم وابن زهر فكان لهم أبلغ التأثير وأعظم النفوذ على أوربا العلمية والطبية فى العصور الوسطى، واستمرت كتبهم تدرس فى جامعات أوربا قرونا عديدة .

هؤلاء هم العرب الذين يقول عنهم المؤرخ الفرنسى «لكلرك» فى كتابه تاريخ الطب العربىّ : أنه فى ختام القرن الثامن الميلادى كان كل ما فى أيدى العرب من العلوم ترجمة مؤلف فى الطب

وبضعة كتب فى علم الكيمياء ولكن ما كاد القرن التاسع يوشك أن ينتهى حتى كان العرب قد آمتلكوا ناصية كل علوم اليونان وثقافة الأقدمين، ونبغ فيهم عدد عظيم من المؤلفين .

هؤلاء هم العرب الذين يقول عنهم بعض المؤرخين : (نو برجر: تاريخ الطب) إن المدنية العربية فى أوج امبراطورية الإسلام قد فاقت مدنية روما القديمة فى حيويتها وتنوعها ، بينما حضارة الاسلام فى الأندلس احتلت مركزا يشابه من عدة وجوه حضارة اليونان القديمة .

هؤلاء هم العرب الذين يقول عنهم أحد مؤرخى هذا العصر من الأطباء : (داوسن : تاريخ الطب) : « أن المدنية الأوروبية بل فى الحقيقة إن المدنية الغربية كلها مدينة للمسلمين بميراث حكمة الأقدمين . وإن فتوحات العرب فى امبراطورية الإسلام من القرن السابع الى الخامس عشر لهى إحدى أعاجيب التاريخ، ومن المدهش أن يصبح العرب — وكانوا فى مبدأ أمرهم يعيشون على الفطرة — قد تحولوا الى عنصر فاتح فجعلوا أنفسهم سادة نصف العالم فى مائة عام، ومن أشد العجب حماسهم العظيم، وسرعتهم البالغة فى تحصيل العلوم وتكوين الثقافة اللازمة لعظمتهم حتى وصلوا فيها الى مستوى عال فى مائة سنة ، بينما نرى أن الجرمانيين لما فتحوا الامبراطورية الرومانية قضوا ألف عام قبل أن يقضوا على الوحشية وينهضوا لإحياء العلوم » .

وهكذا نرى أنه بينما كانت أوربا غارقة فى الجمود الدينى والتنازع والفتن فى «العصور الوسطى» عصور الجهل والخرافات، وتلاشى القانون، والوحشية، كان العرب قد نشروا للعلم لواء خافقا فوق امبراطورية الإسلام الشاسعة الأرجاء، المترامية الأطراف من الصين والهند وسمرقند شرقا الى أقصى المغرب غربا، وفى جنوب إيطاليا وفى الأندلس حيث كادوا يصلون الى فرنسا، ودولتهم يحيط بها سياج العظمة والسلطان، ثم حملوا الشعلة العالمية من قبس العلوم وأنوار الحكمة الى أوربا حيث أناروا بها دياجير قرون الظلمات، وكانوا أهل الأمانة على العلم، وحملة ودائعه الى الغرب على متن القرون، وكفى العرب فخرا على مدنية أوربا، وفضلا على الغرب أن أخرجوا أهله من الظلمات الى النور.

مصادر الطب العربى

لما امتدت فتوحات العرب فى صدر الإسلام وكان من البلاد التى دانت لهم مملكة فارس وهناك فى إحدى مدنها «جنديسابور» وجد العرب أن جماعة السريان النسطوريين (نسبة الى نسطوريوس الذى كان بطريرك القسطنطينية) قد فروا الى فارس بسبب الاضطهاد المسيحى فى بيزنطية فى القرن الخامس للميلاد، ونهضوا بمدرسة «جنديسابور» حيث نقلوا معهم علوم اليونان فاقتبسها العرب

هناك ، مع زيادات من الثقافة الهندية والفارسية والسريانية ، ولهذا كان للحركة النسطورية وانتقالها الى فارس شأن كبير فى منشأ الطب العربى حيث كانت مدرسة «جنديسابور» من أعظم منابعه ، كما أن العرب اتصلوا أيضا — عند ما انتشر الإسلام فى الشام — بعلوم الإغريق فى بيع النسطوريين هناك ، وفى عهد بنى أمية أمر خالد بن يزيد باستحضار الفلاسفة اليونان من مدرسة الإسكندرية فى مصر وأمرهم بترجمة الكتب اليونانية الى العربية ، وكان الدافع له على هذا شغفه الشديد بعلم الكيميا ، وكانت هذه أول ترجمة من لغة لأخرى فى الإسلام .

وفى مدرسة «جنديسابور» تعلم «الحارث بن كلدة» أول طبيب عربى وكان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك الوقت ازدادت عناية العرب بالعلوم الطبية ، وكان يوجد فى عهد بنى أمية بضعة أطباء يمارسون مهنة الطب ومن بينهم « زينب طبيبة بنى أود » التى كانت شهيرة بعلاج الرمد وأمراض العين .

ولما قامت الدولة العباسية ، بدأ عهد جديد امتاز بإحياء العلوم والمعارف ، وبحركة الترجمة فى بغداد حيث ترجمت كل كتب اليونان الى العربية ، إما عن النص اليونانى وإما عن الترجمة السريانية للأصول اليونانية ، مضافا الى ذلك علوم الطب الهندية والفارسية ، كل ذلك تحت رعاية خلفاء الإسلام ، كما سنبينه فيما يلى

العصر الذهبي

(٧٥٠ — ٨٥٠م)

امتاز القرن الأول للدولة العباسية بأنه كان أزهى عصور الثقافة العربية التى تألق نجمها فى بغداد التى أصبحت مركز المدنية الإسلامية ، والحضارة العربية ، فتوجهت الهمم لاستطلاع علوم الأقدمين ، وشجع الخلفاء البحث والترجمة والتأليف وعضدوها بنفوذهم وقوة سلطانهم والدولة إذ ذاك فى أوج عظمتها وأوسع فتوحاتها ، فأرسلوا البعوث للبحث والتنقيب عن علوم اليونان والهند والفرس ، واستخدموا رهطا من كبار المترجمين لنقلها الى لغة الإسلام ورفعوا منزلة العلماء ، واقتدى بالخلفاء الأمراء والوزراء فتقدمت العلوم تقدما لم يسبق له نظير ، وبلغت الحضارة ذروة مجدها فى ذلك العصر الذهبي السعيد ، ولقد نقح العرب ما ترجموه وصبغوه بصبغة عربية ، وبلغ الحماس الفكرى منتهاه ، وناهيك بأن تعضيد الخلفاء كان له أبلغ الأثر فى تدوين العلوم والمعارف . ولشد ما دهش أحد أمبراطرة بيزنطية حين رأى بين شروط الصلح التى أملاها عليه أحد الفاتحين المسلمين شرطا بأن يكون للعرب الحق فى جمع وشراء ما شاءوا من نسخ المؤلفات اليونانية ! !

ولقد كان « بيت الحكمة » فى بغداد تحوى خزائنه أمهات الكتب فى مختلف العلوم والفنون ، كما كان لإنشائه أثر كبير فى تدهور

مدرسة «جنديسابور» بعد ذلك ، وكذلك امتلأت بغداد فى عصر هارون الرشيد والمأمون بالمستشفيات والمدارس والقصور .

مشاهير المترجمين

قام المترجمون الذين عهد اليهم نقل علوم اليونان بترجمة مؤلفات عظماء اليونان مثل أبقراط وجالينوس و بولس الأجانيطى وروفوس وأوريباسيوس وأرستطاليس وغيرهم ، ولقد وسعت اللغة العربية كل ما ترجم ولم تضق بحاجات العلوم فهى من أغنى اللغات وأكثرها مفردات وتراكيب ، وأغزرها مادة وإنتاجا ، ولقد كان العرب أمة شديدة الملاحظة ، ناصعة التفكير ، وقد أكثروا من الاصطلاحات العلمية ووضعوا — عند نقلهم من اليونانيه — ألفاظا وعبارات اصطلاحية تؤدى معانى الألفاظ المنقوله مثل : « التشخيص » لكلمة (diagnosis) و « تقديم المعرفة » لكلمة (prognosis) . كما أنهم أكثروا من المفردات التشريحية والباتولوجية والطبية ، لأن للغة العربية قوة عظيمة فى تكوين المشتقات الهامة لتصبح ذات معنى خاص فمثلا وزن «فُعَال» يدل على أمراض كثيرة مثل صداع وزكام ودوار وسعال وزحار ... الخ ، وفى بعض الأحوال كان الاصطلاح الطبى العربى يدل على نظرية باتولوجية مثلا (استسقاء) ويستسق من سقى يسقى لهيامه بالشرب وشدة رغبته فيه ، بينما فى الطب تدل على (الارتشاح) وفى ذلك حجة

دامغة على صلاحية اللغة العربية ، باصطلاحاتها التى لا تقع تحت حصر، لأن تكون لغة للعلوم والفنون فى عصرنا هذا .

ومن مشاهير المترجمين «يوحنا بن ماسويه» (٧٧٧ — ٨٥٧م) ولد بجنديسابور وكان والده صيدليا هناك، وقد عين رئيسا لمدرسة الطب ببغداد وكان من أطباء هارون الرشيد. ثم «حنين بن اسحاق» النسطورى (٨٠٩ — ٨٧٣م) وهو أشهر المترجمين وأكثرهم مادة ترجمة . ولد بالعراق ودرس الطب على أستاذه يوحنا بن ماسويه، وقد سافر فى بلاد اليونان، وتعلم العربية بالبصرة، وترجم كثيرا من الكتب اليونانية، كما أن كتابه الذى استعرض فيه طريقة جالينوس فى الطب صار فيما بعد كتابا مدرسيا ذائع الشهرة فى عصور أوربا الوسطى وترجم الى اللاتينية، ويقال إنه ترجم كتب بولس الأجانيطى أيضا الى العربية كما ترجم كتبا عديدة أخرى، مع من جمعهم حوله من المترجمين، ويحكى عنه أن الخليفة المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربية !

وكان من تلاميذه «عيسى بن علىّ» الذى زاول الرمد فى بغداد وترجم بعض الكتب اليونانية كما كتب مؤلفا أصليا عن أمراض العين .

واشتهرت أيضا فى ذلك الحين أسرة «بختيشوع» فى جنديسابور، إذ لما مرض الخليفة المنصور مرضا استعصى على أطبائه استدعى

«جورجس» كبير أطباء مستشفى «جنديسابور» لعلاجه الى أن شفى من مرضه .

ويعزى الى العرب كل الفضل فى حفظ بعض مؤلفات أبقراط وجالينوس الى يومنا هذا، حيث فقدت الأصول اليونانية، بينما ترجمتها العربية لا تزال باقية .

ثم إنه بعد انتهاء مدة الترجمة أتت مدة الأطباء العرب الذين حوروا العلوم الطبية المنقولة وأضافوا اليها تجاربهم وملاحظاتهم وألفوا فى الطب العربى كتبا مستقلة كان لها أعظم شأن وسنذكر الآن أشهر هؤلاء الأطباء فى عصر الخلافه بالمشرق :

أشهر مشاهير الأطباء

جابر بن حيان

(٧٠٣ — ٧٦٥م)

ذلك الكيميائى المسلم العربى أشهر من أن يعرف ، فهو أبو الكيمياء الحديثة وهو الذى أدخل الى أوربا كيمياء المشرق (alchemy) التى هى أم الكيمياء الحديثة، وله الفضل فى اكتشاف حامض النتريك والماء الملكى . ويحسن فى هذا المقام أن نذكر نبذة عن اكتشافات العرب فى الكيمياء والصيدلة، فإن العرب قد عرفوا عدة عمليات كيميائية كالتقطير والتكلس والترشيح والتصعيد

وتلك كانت شائعة عندهم ، كما أنهم أدخلوا عددا عظيما من المستحضرات العربية فى مادتهم الطبية مثل الكحول (alcohol) والشراب (syrup) والكافور والقرنفل والزئبق والمر والكاسيا والسنا المكى والعنبر والمسك والجلاب ، وهم الذين اخترعوا «الصيدلة» ووسعوا فنّ الصيدلة بادخال تلك المستحضرات الأقراباذينية وزينوا فن تركيب الأدوية بإدخالهم المياه المعطرة كماء الورد والبرتقال .

ولو أن الغرض الأول عند بدء العرب دراسة الكيمياء كان البحث عن حجر الفلاسفة واكسير الحياة ، لكنهم أتوا باكتشافات حقيقية قيمة فى فروع الكيمياء والصيدلة والمادة الطبية التى أضافوا اليها الشىء الكثير .

ثم إن العرب عرفوا إمكان « التخدير » بالاستنشاق وكان لهذه المعرفة تأثير على جراحتهم إذ ابتدعوا ماسمى «الأسفنج المنوم» الذى كان يغمر فى مواد عطرية ومنومة ثم يجفف ويحفظ ويبلل قبيل استعماله للتخدير ثم يوضع فوق الأنف والفم ، وقد نقل ذلك عنهم «تيودوريك البولونى» فى القرن الثالث عشر بأوربا .

الكندى (مات ٨٧٧م)

هو الفيلسوف أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندى من أصل عربى صميم ، وقد كان من أشهر الفلاسفة والمترجمين فى الإسلام ، أضاف كثيرا الى أصول الطب والعلوم العربية وحاول

تأسيس طريقة مضبوطة فى فنّ تركيب الأدوية، وصار طبيبا للخليفتين: المأمون والمعتصم فى بغداد، حيث ذاعت شهرته كطبيب وفيلسوف وفلكىّ ورياضىّ، وتشمل تآليفه ترجمات كثيرة منها «المجسطى» لبطليموس نقلها عن اليونانية التى كان يتقنها وقد راجع الترجمة العربية لأرسطو، وألف على ما قيل أكثر من مائتى كتاب منها اثنان وعشرون فى الطب، وترجمت كتب كثيرة من مؤلفاته الى اللاتينية وقد مات سنة ٨٧٣ م.

على بن ربن الطبرى

مولده ومنشؤه فى طبرستان الإقليم الفارسىّ، كان أبوه مسيحيا، ثم اعتنق ابنه علىّ هذا الإسلام ودخل خدمة الخليفة المتوكل وجمع له سنة ٨٥٠ م كتابه فى الطب والفلسفة والعلوم الطبيعية وسمّاه «فردوس الحكمة»، وقد علم الرازىّ فزاد ذلك كثيرا فى أهمية كتابه، ويفهم من مطالعة كتابه هذا أنه كان يوجد امتحان للمتخرجين فى الطب، على أن هذا النظام قد وجد بلاشك فى حكم الخليفة المقتدر الذى أصدر أمره فى سنة ٩٣١ م (كما يخبرنا القفطىّ فى تاريخ الحكماء) بعدم السماح لأحد بتعاطى صناعة الطب فى بغداد إلا بعد أن يمتحنه «سنان بن ثابت» ولم يستثن من الامتحان سوى بعض الأطباء المشهورين القديرين، أما الباقون وكانوا نحو ٨٦٠ طبيبا فقد تمّ امتحانهم جميعا.

الـــرازى

هو أعظم طبيب فى الإسلام، وإمام المؤلفين فى الطب من الأعلام، أبو بكر محمد بن زكريا الرازى، تمثل فيه عظمة الطب العربى فى أزهى عصوره، ولد بالرى من أقدم مدن فارس (على بعد بضعة أميال من طهران عاصمة ايران الحالية) حوالى وسط القرن التاسع للميلاد، وولع فى أول حياته بالموسيقى وكان يجيد العزف على العود، ثم درس الفلسفة، وتعلم صناعة الطب وقد كبر، وهو يعد فى درجة أبقراط من حيث إنه أحد الوصاف الأصليين للأمراض، كان حاد الذكاء، شديد الملاحظة، دقيق المشاهدات والتجارب، محنكا فى صناعته، فبلغ فى الطب الأكلينيكى أعظم الدرجات، وكان أكثر المؤلفين إنتاجا للمادة الأصلية فى علوم الطب، وانتخب رئيسا لمستشفى بغداد حيث كان يعطى بانتظام دروسه الاكلينيكية محاطا بتلاميذه وتلاميذ تلاميذه، فكان هؤلاء الأخيرون يفحصون الحالة أولا فإذا صعب عليهم تشخيصها مرت على تلاميذه ثم يلجأ اليه شخصيا فى النهاية إذا لزم الأمر، (وذلك على نحو ما هو متبع اليوم). ويمتاز الرازى بضخامة مؤلفاته وكثرتها ويفوق فى هذا الضمار جالينوس، وقد ألف نحو ٢٣٧ كتابا أكثرها مفقود، وقد ذكر له فى كتاب «الفهرست» ١١٣ مؤلفا من تآليفه الكبيرة، وذكر ابن أبى أصيبعة ٢٣٢ مؤلفا له، ومن مؤلفاته

الرازى

[ويرى أحد مرضاه راقدا أمامه]

الباقية كتاب «المنصورى» فى عشرة مجلدات أهداه الى «المنصور ابن إسماعيل» صاحب خراسان ، وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينيـة «چيرار دى كريمونا» وكان للمجلد التاسع منه تأثير عظيم فى أوربا اللاتينية، فكان يدرس فى أوربا فى القرون الوسطى ويحتوى على وصف دقيق لجميع أعضاء الجسم من قمة الرأس لأخمص القدم وكانوا يسمونه فى أوربا Nonus Almansoris واستمر يدرس بانتظام فى جامعة توبنجن الى أواخر القرن الخامس عشر حيث ذاعت شهرته فى أوربا بضع مئات من السنين. أما كتابه (١٧) «الحاوى» فهو أجل كتبه وأضخمها وأعظمها فى الطب العربى، ولا يوجد من هذا الكتاب اليوم سوى نصفه، وهو أضخم دوائر المعارف فى الطب والجراحة وسائر العلوم الطبية ويفوق فى حجمه «قانون» ابن سينا، ويرى منه أن الرازى كان خير من اقتفى آثار ابقراط وجالينوس وكان معارضا كل المعارضة للدجالين والمشعوذين، وقد نشر «الحاوى» مع الترجمة اللاتينية سنة ١٤٨٦ م، وكان هذا الكتاب أحد الكتب التسعة التى تكونت منها مكتبة مدرسة الطب بباريس بأكملها فى القرن الرابع عشر وكان مصدرا للعلوم الطبية وخاصة فى العلاج فى أوروبا الى ما بعد عصر النهضة (الرينسانس) بزمن طويل. ومن أشهر ما كتبه الرازى كتاب «الجدرى والحصبة» فهو أول من وصف هذين المرضين وصفا دقيقا واضحا مميزا بالعلامات الاكلينيكية الأصلية ومنطبقا على

المعلومات الحديثة، وقد اتفق المؤرخون على اعتبار هذا الكتاب درة ساطعة فى جيد الطب العربى، وقد نشر الأصل العربى له مع الترجمة اللاتينية فى لندن سنة ١٧٦٦ م وترجم أيضا مع كتبه الأخرى الى اليونانية والفرنسية وغيرهما من لغات أوربا . وكان لها فى أوربا تأثير عظيم . ومن مؤلفاته رسالة عن «حصوات المثانة والكلى» وأخرى عن «الروماتزم والنقرس» وأخرى عن «القولنج أو المغص» وكان الرازى أول من أدخل المستحضرات الكيميائية فى صناعة الطب .

وقد دون كثير من بدائع حالاته ودقائق استدلاله فى علاج المرضى بذكاء نادر وتدبير عجيب فى بعض الكتب مثل كتاب «الفرج بعد الشدة» للقاضى التنوخى وقد طبع فى مصر، وكتاب فارسى اسمه «چهار مقاله» أى أربع مقالات ألف حوالى سنة ٥٥٠ م وكتاب فارسى آخر اسمه «أخلاق جلالى» وفى كتاب «سلسلة الذهب» و«المبدأ والمعاد» وسنكتفى هنا بذكر حالتين :

(٢) حدث بعض الأطباء الثقات أن غلاما من بغداد كان عليلا فقدم الرى وهو ينفث الدم، وكان قد لحقه ذلك فى طريقه فاستدعى أبا بكر الرازى فأراه ما ينفث ووصف له الحال ففحصه الرازى وبحث حاله منذ ابتدأت العلة به فلم يجد سببا معروفا يعلل المرض فاستنظر المريض ليفكر فى الأمر فيئس المريض من

الشفاء، لاعتقاده أنه مادام لم ينجح الرازى فى معرفة علته فلن ينجح سواه، وولد الفكر للرازى انه عاد الى المريض وسأله عن المياه التى شربها فى طريقه فأخبره أنه شرب من مستنقعات وماء آسن فقام فى نفس الرازى بحدة الخاطر وصفاء الذهن أن علقة كانت بالماء الذى شربه فى معدته، وأن ذلك النفث الدموى من فعلها، ثم قال للعليل: إذا كان فى غد جئتك فعالجتك ولم أنصرف حتى تبرأ، ولكن بشرط أن تأمر غلمانك أن يطيعونى فيما آمرهم به فيك فقال: نعم، وعاد الرازى فى اليوم التالى ومعه ملء مركنين من طحلب وأمر المريض أن يبلع جميع ما فى المركنين فبلع الرجل منه شيئا كثيرا ثم قال: ليس يمكننى بلع شىء آخر أكثر منه فقال له: آبلع، فقال: لا أستطيع فأمر الغلمان أن يطرحوا المريض على الأرض ويفتحوا فاه، وأقبل الرازى يدس الطحلب فى حلقه ويكبسه كبسا شديدا، ويطالبه ببلعه شاء أو أبى، والرجل يستغيث الى أن ذرعه القىء فقذف فتأمل الرازى قذفه فاذا فيه علقة واذا هى لما وصل الطحلب اليها دبت اليه بالطبع وتركت موضعها فى معدة المريض، فلما قذف العليل خرجت مع الطحلب ونهض العليل معافى!

والحالة الثانية نادرة من نوادر العلاج النفسانى (psychotherapeusis) وخلاصتها أن «الرازى» استدعى لعلاج (٤) أمير كان يشكو روماتزما مفصليا شديدا أعيا أطباءه، وعند وصول

الرازىّ الى بخارى حيث كان الأمير جرّب معه طرقا مختلفة للعلاج بدون جدوى، وفى النهاية قال للأمير: إنه فى غد سيجرب علاجا جديدا، ولكن على شرط أن يضع الأمير تحت تصرفه أحسن حصانين فى اسطبلاته فوافق الأمير، وفى اليوم التالى أحضر الرازىّ الأمير معه الى حمام بظاهر المدينة وربط الحصانين مسرجين خارج الحمام ودخل وحده غرفة الحمام الساخنة مع مريضه الأمير، ثم صب عليه من الماء وجرعه مقدارا من دواء أحضره، الى أن نضجت الأخلاط فى مفاصله. ثم تركه وخرج ولبس ملابسه وعاد يحمل سكينا فى يده ودخل على الأمير وشهرها فى وجهه ووقف يؤنبه ويهدده ويتهمه بأنه تآمر ضده وآشتد فى تعنيفه فآستشاط الأمير غيظا، وبتأثير عامل الغضب والخوف اللذين ألقاهما فى روعه الرازىّ وثب على أقدامه ونهض واقفا بعد أن كان لا يستطيع الوقوف، وفى الحال هرب الرازى من الحمام الى حيث كان ينتظره خادمه بالخارج مع الحصانين وركب بأقصى سرعة وعاد الى بلده وهناك كتب للأمير كتابا قال فيه: أنه لما عالجه بما أوحاه اليه ضميره قدر آستطاعته ولم يتيسر شفاؤه، وخشى أن تستطيل مدة علاجه لجأ الى العلاج النفسانى على الطريقة التى آبتدعها له وأتت بالشفاء وإنه أصبح من عدم اللياقه أن يعود لمقابلة الأمير بعد ذلك.

فلما هدأت عن الأمير ثورة الغضب وآشتد سروره بشفائه ورجوع صحته أمر بالبحث عن الرازى فى كل مكان ولكن عبثا الى أن رجع خادمه فى اليوم السابع مع الحصانين وحاملا خطاب الرازى فلما رأى عزم الرازى على عدم الرجوع كافأه بحلة نفيسة وسيوف وعبد وجارية وجواد مطهم وأجرى عليه ألفى دينار سنويا وأرسل له مائتى حمل من الحنطة .. !

وقد عمر الرازى طويلا اذ نيف على الثمانين، وفقد بصره فى أخريات أيامه ومات سنة سنة ٩٢٦ م .

علىّ بن العباس المجوسى

(٤) هو الطبيب الفارسى علىّ بن العباس المجوسى من الأهواز فى الجنوب الغربى من فارس، درس على أستاذه أبى ماهر موسى ابن سيار، وكان ذا شهرة واسعة وألف الكتاب «الملكى» لعضد الدولة وهو مجموعة شاملة للطب النظرى والعملى فى عشرين جزءا، وكان هذا الكتاب من أحسن التآليف فى العصر العربى وشاع استعماله لدراسة الطب شيوعا عظيما الى أن حل محله القانون لآبن سينا بعد نحو قرن من الزمان ، وقد ترجم الى اللاتينية كما طبع بالعربية بمصر، ومن ملاحظات مؤلفه القيمة فى المقالة التاسعة عشرة الخاصة بالجراحة تنبيهه بأهمية المواظبة على حضور المستشفيات ، مذكرا طلاب صناعة الطب بوجوب ذلك مع

زيارة منازل المرضى ، و بذل العناية الفائقة فى دراسة الحالات بصحبة أساتذتهم من مشاهير الأطباء و بدقة الأستفهام على الدوام عن حالة المرضى وسير المرض مع تذكر آختلاف الأعراض مما قرءوه وشاهدوه حتى يتسنى لهم بذلك الوصول الى درجة عالية فى هذا الفن ، وحتى ينالوا ثقة المرضى وعطف الناس وآحترامهم وحتى تتسع شهرتهم وتزداد فائدتهم ومنفعتهم .

وقد ذكر أيضا شيئا عن أجور أشهر الأطباء فى صدر الدولة العباسية مثل «جبريل بن بختيشوع» الذى مات سنة ٨٣٠م .وقد ذكر القفطى أن جبريل هذا جمع ثروة فى مدة خدمته لهارون الرشيد ثلاثا وعشرين سنة وفى خدمة البرامكة ثلاث عشرة سنة أكثر من ثلاثة ملايين ونصف مليون من الجنيهات !!

~~ومات على بن العباس سنة ٩٩٤م .~~

ماسويه المارندى

درس الطب والفلسفة ببغداد ومات سنة ١٠١٥ م . ومن مؤلفاته كتابه فى «الأقراباذين» الذى كان الكتاب الصيدلى المعتمد فى العصور الوسطى وأهميته فى أنه يبحث على الأخص فى المادة الطبية وأنه عرف أوربا اللاتينية الصيدلة العربية، وقد ظهرت له طبعات عديدة جدا بأوربا .

ابن سينا

ابن سينا توفى سنة ١٠٣٧م

(١٠) "هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا أمير الأطباء، وأشهر الفلاسفة من العرب، عمت شهرته أرجاء العالم الإسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها، وعظم تأثير مؤلفاته فى أوربا حتى كانت أهم ما يدرس ويقرأ من العلوم فى جامعات أوربا قرونا عدة، ولم يدانيه فى شهرته أحد من الأطباء أو الفلاسفة، وكان عبقريا عظيما بلغت به العلوم العربية قمة مجدها، ولد قرب بخارى من بلاد الفرس حوالى سنة ٩٨٠م. ثم إنه حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، وتفرغ بعد ذلك ست سنين لدراسة الشريعة والفلسفة والعلوم الطبيعية والمنطق ثم اتجهت عنايته الى دراسة علم الطب فى سن السادسة عشرة، ولما جاوز عمره الثامنة عشرة بقليل ذاع صيته واشتهر أمره فى الطب الذى نبغ فيه وهو فى ريعان الشباب حتى إنه استدعى لعلاج نوح بن منصور سلطان بخارى إذ ذاك وقد تم شفاؤه على يديه فأحسن صلته وسمح له بالاطلاع على نفائس المكتبة الملكية بما حوته من الكتب النادرة، ثم أقبلت عليه الدنيا، وتفجرت عليه النعم بما أوتيه من التوفيق فى صناعة الطب، والنجاح فى معالجة من تعهدهم من المرضى الذين كانوا يأتون اليه من فجاج الأرض.

وفى سنّ الحادية والعشرين ألف أوّل كتاب له ، ثم دخل خدمة الأمير علىّ بن مأمون حاكم « كركانج » وما لبث أن تنقل فى البلاد و بعد تطواف كثير ألقى عصا الترحال فى جرجان حيث كان يقصد أميرها «قابوس» الذى اشتهر بتعضيده للعلوم غير أن هذا الأمير مالبث أن مات فتألم ابن سينا لذلك ألما شديدا وأنشأ فى هذه المناسبة قصيدة قال فيها :

لما عظمت فليس مصر واسعى * لما غلا ثمنى عدمت المشترى

غير أنه مع ذلك لم يعدم مثل هذا المشترى فقد وجده أخيرا فى شخص الأمير شمس الدولة بهمدان ، إذ أنه عالجه فشفاه من مغص انتابه فقلده الوزارة غير أن فتنة ضدّه بين الجنود أدّت الى سجنه ثم نفيه ، ولكن القولنج (المغص) عاود الأمير فاستدعاه ثانية واعتذر اليه وأبقاه فى خدمته وأعيدت الوزارة اليه ثانيا ، وكانت حياته فى ذلك الوقت ملأى بالنشاط والحماس والعمل والجهود المتواصلة ، كان يشتغل طول النهار فى خدمة الأمير بينما يجتمع كل ليلة فى داره طلبة العلم فيقضى أكثر الليل فى المحاضرة والتدريس و إملاء المذكرات اللازمة لكتبه فإذا انتهت القراءة حضر المغنون على اختلاف طبقاتهم وهيئ مجلس الغناء والأنس والموسيقى ؛ وكان إذا صادفته مشكلة علميه يراجع مذكراته ويذهب الى المسجد يصلى ويبتهل إلى الله ، وبعد تقلبات كثيرة فى حياته الحافلة بالعمل

المتواصل والإجهاد الشديد مات وعمره نحو سبع وخمسين سنة (١٠٣٧ م) .

وأهم كتبه « القانون » فى الطب وقد دوّن فيه علوم الطب الى زمنه ونقحها جميعها وقد فاق ابن سينا كلا من أرسطو وجالينوس فى دقته فى المناقشة، وشرح آراء جالينوس وأبقراط، كما حاول أن يوفق بين تعاليم جالينوس وأرسطو، ويحتوى « القانون » على نحو مليون كلمة وهو مقسم الى كتب وأبواب كثيرة، وقد كان القانون يدرس فى أوربا باعتباره أهم جزء فى منهاج الدراسة الطبية وآستمر كتابا مدرسيا تعليميا الى سنة ١٦٥٠ م فى جامعتى مونپلييه ولوڤان.

وكان لشهرة مؤلفه التى طبقت الآفاق فى نواح أخرى غير الطب أثرهم فى رفع كتاب « القانون » الى مركز منفرد متميز على ماسواه من كتب الطب فى العالم الإسلامى، حتى أن أحد كتاب ذلك العهد ذكر أن كل من يريد الاعتماد على كتاب واحد فقط دون سواه فى علوم الطب فليقتصر على قانون آبن سينا .

وكذلك بلغ من شهرة « القانون » فى أنحاء الغرب أنه وصل الى الغال بالجزر البريطانية وآنتشرت تعاليمه هناك، وقد ترجم إلى اللاتينية فى طليطله ونشرت له نحو ثلاثين طبعة مبنية على الترجمة اللاتينية فى غرب أوربا . وقد ظهرت له طبعة عربية جميلة فى روما سنة ١٥٩٣ م. وفى بولاق بمصر، كما ظهرت له عدة شروح.

ولابن سينا كتب أخرى عديدة جدا فى علوم الطب والفلسفة والدين والهندسة والفلك واللغة وغيرها . ٢٢

١٤ ومما يروى عن ابن سينا من نوادر الطب النفسانى أنه أتى متنكرا الى جرجان وهناك وجد أحد أقرباء حاكم ذلك الاقليم مريضا بداء أعيا الأطباء علاجه فاستدعى ابن سينا لاستشارته فى علاجه ، ولما فحص المريض طلب استحضار شخص يعرف كافة بلاد هذا الاقليم ومراكزه ، لكى يعدد أسماءها بينما ابن سينا أبقى أصابعه موضوعة فوق يد المريض تجس نبضه ، فلاحظ اضطرابا فى النبض عند ذكر بلدة معينة فعند ذلك طلب ابن سينا شخصا يعرف كل الأحياء والشوارع والمنازل فى تلك البلدة واستمر يجس نبض المريض فلاحظ عودة اضطراب النبض عند ماذكر الشخص اسم شارع معين ، وذلك على مسمع من المريض ، وتكررت ظاهرة الاضطراب فى نبض العليل عند ذكر منزل معين ثم عند ذكر اسم فتاة معينة من سكان هذا المنزل ، عند ذلك قال ابن سينا : قضى الأمر هذا الغلام عاشق للفتاة الفلانية التى تعيش فى منزل كذا ، بشارع كذا ، ببلدة كذا ، ووجه الفتاة شفاء المريض ! ! وهكذا كان تشخيصه لمرض العشق وكان علاجه أن أشار بضرورة زواج الفتى من الفتاة التى أحبها وأضنى جسمه حبه لها ، وقد تم ذلك فعلا فكان فيه كل الشفاء ... !

مشاهير الأطباء فى الأندلس

كان للمؤلفين من أطباء العرب فى خلافة المغرب تأثير بعيد المدى على الغرب اللاتينى لاتصالهم الوثيق بأممه هناك ، وأعظمهم أبو القاسم الزهراوى ، وآبن زهر ، وآبن رشد ، وموسى بن ميمون .

أبو القاسم الزهراوى

(ونبذة فى الجراحة عند العرب)

(٧) هو فخر الجراحة العربية ، وصاحب الفضل الأكبر فى إحياء فنها فى العصور الوسطى ، ولد بالزهراء (بالقرب من قرطبة) سنة ٩٣٦م . وقد صار طبيبا لعبد الرحمن الثالث ، وأهم مؤلفاته كتاب « التصريف » وهو دائرة معارف للطب والجراحة ، وقد نشر الجزء الجراحى من هذا الكتاب على حدة وهو أول كتاب موضح بالصور والأشكال فى الجراحة ، وترجم الكتاب الى اللاتينية على يدى «چيراردى كريمونا» ، وهذا الجزء الخاص بالجراحة من « التصريف » مقسم الى ثلاثة أقسام : أولها وأطولها يبحث فى « الكى » الذى شاع آستعماله فى الطب العربى ، والقسم الثانى يبحث فى الجراحة العامة وعملياتها ووصف أسلحتها ، والقسم الثالث فى الخلع والكسور . ورسوم الآلات فى هذا الكتاب تبلغ نحو المائتين ؛ وكان الزهراوى يذكر بجوار كل موضوع مادلت عليه

تجاربه ثم إنه أوصى بضرورة معرفة التشريح معرفة تامة دقيقة لمن يخصص نفسه للجراحة، وهو أول من ربط الشرايين قبل أمبرواز باريه الفرنسى، وقد وصف عمليات تفتيت الحصاة والشق عليها والبتر وجراحة العين والأسنان، ووصف الطريقة العربية لعلاج الجروح، ودون ملاحظاته عن التقيح، ووصف الوضع المعروف الآن باسم والخر فى الولادة وذكر التوليد بالآلات فى الوضع، وذكر حدوث الشلل عقب كسر السلسلة الفقرية، وكانت له اليد الطولى فى رفع مستوى الجراحة فى أوربا، وقرر فى الجزء الخاص بالخلع والكسور أن هذا الفرع من الجراحة قد صار فى أيدى العوام والجهلة بالطب، وأشار بوجوب قصر مزاولته على الأطباء، وهو أول من استعمل «السنارة» فى استخراج « البوليبوس »، ثم إن تشيع أبى القاسم للكى أدى الى انتشار استعماله فى العلاج فى كافة أنحاء أوربا فى القرون الوسطى .

ولنذكر الآن نبذة فى الجراحة عند العرب، فنقول أولا : أن الآراء اتفقت على أن المسلمين لم يمارسوا « التشريح » بسبب تعاليم الدين، ولهذا اعتمدوا فى معرفتهم لهذا الفرع على « تشريح جالينوس »، ولذلك لم يكن للجراحة فى بادئ الأمر حظ كبير من عنايتهم وقلما اهتموا بعملياتها، ولم يبتدئ اشتغالهم بفن الجراحة واهتمامهم به كفرع خاص متميز إلا فى عصر متأخر، وكان الرازى

أول من اهتم بالجراحة، وجاء على أثره علىّ بن العباس المجوسىّ، وقد أتى بعد ابن سينا، وفى أوائل القرن الحادى عشر للميلاد اشتهر فى الأندلس ابن زهر الذى جمع بين الطب والجراحة غير أن الجراحة لم تبلغ الدرجة الممتازة إلا عند ظهور أبى القاسم خلف بن عباس الزهراوىّ (المتوفى سنة ... هجرية) فأجرى العمليات الجراحية واستعان بالآلات والأدوات وألف كتابه « التصريف لمن عجز عن التأليف » الذى سبق ذكره، وقد كانت الآلات الجراحية تصنع إما من الحديد أو الذهب أو النحاس، ويختلف استعمال كل نوع باختلاف ظروفه ففى آلات الكىّ مثلا كان أبو القاسم يفضل استعمال الحديد على الذهب لأسباب علمية صحيحة، وكان الكىّ يستعمل فى كثير من الأمراض وله أدوات كثيرة منها الناز التى تعتبر أفضل لكونها جوهرا مفردا لا يتعدى فعله العضو المكوى فلا يضر ماحوله على عكس الدواء المحرق الذى قد يتعدى فعله الى ماحول العضو المصاب، وقد كان القوم يستعملون فى الكى كل صنوف الصبر والجلد مما لا يتصور احتماله فإن خراج الكبد مثلا كان يعالج باستعمال مكواة تحرق طبقات جدار البطن كلها حتى تصل الى الكبد فتحرقه الى أن يخرج الصديد ... ومثل هذه العملية بالطبع تكون خالية من أىّ تقيح . وكما أسلفنا فإن أبا القاسم أول من ربط الشريان لإيقاف النزيف، وأول من أدخل استعمال الحرير وأوتار العود بهيئة خيوط للربط فى الجراحة، وكذلك

فإنه أدخل آستعمال محلول الملح فى غسيل الجروح على نحو ماهو معروف اليوم . ٩٩

وقد تأصلت جذور الجراحة العربية ممثلة فى أبى القاسم فى أوروبا فى العصور الوسطى ، وهو بلا ريب واضع أساس الجراحة الحديثة .

ابن زهر

ولد بإشبيلية سنة ١١١٣ م . وذاعت شهرته كطبيب عظيم فى أسبانيا وشمال إفريقية وهو من مشاهير المفكرين فى الإسلام ، وقد شغف بدراسة المادة الطبية والعقاقير، وأهم كتبه « التيسير » وهو يبحث فى الطب العملى ويصف الأغذية وتحضير الأدوية ، وهو يبين فى كتابه أهمية التجارب فى إرشاد الطبيب ، وقد وصف الالتهاب المصلى للتامور وخراج المنصف الصدرى وأصابه هذا المرض الأخير فوصف أعراض نفسه ودونها بمنتهى الدقة ، وكذلك وصف عمليات الحصيات الكلوية وعملية فتح قصبة الرئة ، كما يظهر من كتاباته أنه فى أيامه كانت مهن الطب والجراحة والصيدلة منفصلة بعضها عن بعض ، وترجمت كتبه الى اللاتينية وكانت المرجع الأساسى لكثير من كتاب الغرب ، ومما يعرف عن ابن زهر أنه لم يقبل كل تعاليم جالينوس بل عارض بعضها .

ابن رشد

هو فيلسوف الاسلام أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشيد ولد بقرطبة سنة ١١٢٦م. ودرس الفلسفة والقانون والطب وكان صديقا لابن زهر، وهو أصدق من اقتفى آثار أرسطو من العرب، وقد أثار تفكيره الحر شكوكا ضده، ولقب بشارح أرسطو، وعين قاضيا لإشبيلية وظل فى هذا المنصب خمسا وعشرين سنة فى قرطبة ومراكش ومات بمراكش سنة ١١٩٨م. وكان لما بسطه من الأفكار ونشره من الآراء أثر فعال تغلغل فى عقول الأوروبيين الى القرن السابع عشر وأهم مؤلفاته كتاب « الكليات » وترجم الى اللاتينية.

موسى بن ميمون

هو موسى بن ميمون القرطبى من أحبار اليهود ولد سنة ١١٣٥م. وصادفت أيامه الأولى احتلال الموحدين قرطبة وتزعزع مركز اليهود فى أسبانيا ففر ابن ميمون الى فاس ثم الى فلسطين وهاجر الى مصر واتخذ لنفسه مهنة الطب هناك فصادف نجاحا عظيما واتصل بالسلطان صلاح الدين وصار طبيبه الخاص، وروى أن ريشارد الأول ملك انجلترا علم أثناء وجوده بفلسطين بشهرة ابن ميمون فعرض عليه أن يجعله طبيبه الخاص ولكنه رفض. وكان معاصرا لابن رشد وله فضل كبير فى تثبيت مدرسة ابن رشيد

وتعاليمه فى غرب أوروبا كما أنه ترجم قانون آبن سينا الى اللغة العبرية وله كتاب « الوصايا » عن التغذية وقانون الصحة كتبه على هيئة خطابات الى الملك الأفضل بالعربية وترجم للعبرية واللاتينية، وألف كتابا عن «السموم» سنة ١١٩٨ م . وأهداه الى القاضى الفاضل وكان يدرس الكتاب بكثرة فى أوروبا فى العصر الوسيط وكان مرجعا هاما لأطباء الغرب، وله كتب أخرى كثيرة .

آبن البيطار

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار أوحد زمانه وعلامة وقته فى علم النبات، ولد بالقرب من مالقة بالأندلس، ورحل فى أسفار كثيرة فى اليونان وآسيا الصغرى ومصر لدراسة النباتات الطبية والعقاقير وأتقن دراية كتاب أدوية « ديسقوريدس » اليونانى إتقانا لم يجاره فيه أحد كما أن شرحها، أما كتابه فى المادة الطبية فهو بلا شك أوفى كتاب فى المادة الطبية العربية ويحوى وصفا لنحو ألف وأربعمائة من العقاقير كان منها ثلثمائة جديدة فى زمنه فكتابه هذا (الجامع فى الأدوية المفردة) مجموعة كاملة عن المادة الطبية والتغذية وترجم الى اللاتينية والألمانية، ومات آبن البيطار فى دمشق سنة ١٢٤٨ م .

ويحسن بنا هنا أن ننوه ببعض من نوابغ الطب العربى فى الدولة العربية (غير من ذكرنا) فمن هؤلاء « علىّ بن رضوان »

الذى اشتهر بابتكاراته فى علم الصحة وطرق العلاج ، و"عمار بن علىّ الموصلى" الذى ألف كتابا عظيم الشأن فى طب العيون و « ابن بطلان » من أقطاب الطب فى بغداد ووفد الى مصر وله كتاب «دعوة الأطباء» و «السمرقندى» صاحب كتاب «الأسباب والعلامات » وكتاب « أغذية المرضى » و « ابن خاتمة » الطبيب الأندلسى الذى كتب فى الوباء كتابا عرف فيه الجراثيم وأثبت العدوى . ونذكر أخيرا « ابن أبى أصيبعة » الذى اشتهر بكتابه فى تواريخ حياة الأطباء وآسمه «عيون الأنباء فى طبقات الأطباء» .

المستشفيات الإسلامية

(١٧) إن من حسنات العرب أنهم نهضوا بالمستشفيات نهوضا عظيما يتمشى مع حضارتهم ويتفق وتقدم الطب العربى فى عصوره المختلفة ، وكانت تطلق كلمة «المارستان» للدلالة على «المستشفى» وهى تحريف «بيمارستان» الفارسية ومعناها « بيت المرضى» .

ففى أيام الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ هـ أسس مارستان اشتغل به أطباء اجريت لهم المرتبات وذكر المؤرخ الطبرى ، أن الوليد أمر بجمع المجذومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم الأرزاق وهذا يدل على العناية بشؤون الصحة العامة ، وفى عصر هارون الرشيد ومن تبعه من خلفاء العباسيين كثر إنشاء المستشفيات وآستمر آزدياد عددها حتى عمت أهم مدن الاسلام وكانت تنفق عليها أموال

طائلة . وأول مستشفى شيد بمصر أسسه أحمد بن طولون، كما شيدت مارستانات عديدة بها مابين سنه ٢٥٩هـ وسنة ٨٢٠هـ، وكذلك آمتلأت مدائن الأندلس بالمستشفيات إبان الحضارة العربية هناك

وكانت المستشفيات مفتوحة لكافة المرضى من جميع الطبقات ذكورا وأناثا، وكانت بها قاعات للمحاضرات، وغرف للأطباء وصيدليات وقاعات خاصة بكل قسم من أقسام الطب، وكذلك كان بها غرف خاصة بالمجاذيب، ويجدر بنا التنويه بحسن معاملة المجاذيب فى الاسلام بينما كانت معاملتهم فى أوربا فى العصور الوسطى بالغة حدّ القسوة والشدّة .

انتقال العلوم الطبية العربية إلى أوربا

وتأثيرها فى المدنية الحديثة

من المعروف أن الخليفة هارون الرشيد أرسل سفيرا الى بلاط شارلمان كما روى بعض المؤرخين أن الأمبراطور شارلمان آستشار أطباء من العرب، ولما فتح العرب صقلية سرى نفوذهم الفكرى حتى وصل سويسرا شمالا، كما أن آحتكاك الغرب اللاتينى بالحضارة الأندلسية مهد السبيل لآنتشار الثقافة العربية وسيطرتها على الطرق التعليمية فى أوربا ، ومما لا ريب فيه أيضا أن الصليبيين تأثروا بآراء العرب الطبية والفلسفية ولما رجعوا الى أوطانهم نقلوا كثيرا

من علوم المشرق ؛ فسرت المعارف العربية فى كثير من بقاع أوربا حيث صادفت هناك تربة صالحة فزكا نبتها ، وطابت ثمارها .

وفى العصور المظلمة جعلت الكنيسة مهنة الطب فى أيدى القسس فكثر الدجالون والمشعوذون والحلاقون المتطببون واقتصرت علوم الطب على معرفة عدة أعراض للأمراض وجملة تراكيب للأدوية ، وكانت الكتب نادرة وغالية ولم يكن هناك نظام أو قانون لمزاولة المهنة فتعاطاها الكثيرون ممن ليسوا من أهلها ، كانت أوربا فى هذه العصور منحطة الى الدرك الأسفل بينما كان الراسخون فى العلم من العرب قد صعدوا بالطب الى الذروة وظهر فيهم نوابغ عديدون ، كان لهم أعمق الأثر فى عقول أوربا ومدنيتها إذ ابتدأ ذلك التأثير يظهر جليا فى وسط القرن العاشر حيث الفت كتب أوربية منقولة عن المصادر العربية . وفى أوائل القرن الحادى عشر درس «جربرت» العلوم العربية فى أسبانيا وصار فيما بعد البابا «سلفستر الثانى» وهو الذى أدخل استعمال الطريقة العربية للأعداد محل الطريقة الرومانية فى أوربا ، وفى ذلك الوقت نهضت مدرسة « سالرنو » التى كان التأثير العربى مسيطرا عليها وكانت فى القرنين : الحادى عشر والثانى عشر بمثابة القنطرة بين الطب القديم والحديث وتعتبر أم الجامعات الأوربية وقد تواترت الأخبار أن بعض الأساتذة من العرب قاموا بالتدريس فى «سالرنو» مدة حكم العرب هناك .

أما الأندلس فكانت المنبع الأساسى الذى تدفق منه تيار الطب العربى الى أوربا، وكان التعليم الطبى فى جامعات العرب بها يمتاز بالمحاورات العلمية والمناظرات الفنية التى كانت شائعة بين الطلبة والأساتذة، وتسربت هذه العادة الى جامعات أوربا، وهى أساس الطريقة الحديثة فى وضع الرسائل للحصول على درجات الشرف من الجامعات فأوربا مدينة بها للعرب .

وكان بين المسلمين ورعاياهم من اليهود الذين أكرمهم العرب وأحسنوا معاملتهم فى الأندلس ارتباط متين، ولهؤلاء اليهود أثر كبير فى نقل علوم العرب الى أوربا، وفى ذلك العهد كان المستعربون وطلاب العلوم من أوربا المسيحية يهبطون الأندلس أفواجا طلبا لعلوم العرب فشربوا منها بالكأس الروية .

وأول المترجمين اللاتين « قسطنطين الأفريقى » (توفى سنة ١٠٨٧م) الذى كان أول من نقل كثيرا من ثقافة العرب الى أوربا اللاتينية ثم توجهت العناية فى أواخر العصور الوسطى لدراسة المادة الطبية والصيدلة العربية واستعمال موازينها ومقاييسها فنقلها « نيقولاس » فى كتابه فى « مضادات السموم » عن مصادرها العربية ويبقى كتابه دستورا لهذا الفرع من الطب قرونا كثيرة، وصار قاعدة « للفارماكوبيات » الأوربية أما فن الجراحة اليدوى فمن أوائل المؤلفين فيه من الأوربيين « روجر » ولم يكن كتابه سوى خلاصة كتاب الزهراوى كما نقل غيره من المؤلفين عن ابن سينا والزهراوى

والرازى وغيرهم إذ كانوا ينقلون فصولا بأكملها، ولهذا فإن «روجر» الذى تعتبر كتبه المصدر الأساسى للجراحة الأوربية لم يفعل سوى أن نقل جراحة العرب الى أوربا، ومن أعظم من نقل عن الزهراوى فيما بعد « جى دى شولياك » .

وصفوة القول أن كافة مؤلفات الغربيين فى تلك العصور كانت مبنية على العلوم الطبية العربية، ويكفى للدلالة على ما كان للثقافة العربيـة من التأثير فى ذلك العهد أن المؤلفين الأوربيين لم يكونوا ليضمنوا انتشار مؤلفاتهم ويحوزوا ثقـة قارئيهم ما لم ينقـلوا عن المصادر العربية مادة كتبهم منوهين بذلك ! !

وفى سنة ١١٣٠م . كون الأسقف «ريموند» جماعة المترجمين فى طليطلة وكان كثير منهم من اليهود الأسبان، وكانت الترجمة من العربية إلى اللاتينية حرفيـة وكان المترجمون اذا لم يجـدوا مقابلا لاتينيـا للألفاظ العربية نقلوها كما هى بدون تصرف، وهكذا تسربت الى أوربا كلمات عربية كثيرة مثل الكحول والكيمياء، كما أن بعض المؤلفـين مثل « جى دى شـولياك » أدخل بعض الألفاظ العربية مثل صفاق ومرىء وكان من نتيجة حركة الترجمة سيطرة العلوم العربية فى أوربا فكانت جامعاتها تحتم معرفة قانون آبن سينا ضمن منهاجها الطبى الى آخر القرن السادس عشر، واستمر تدريس كتب آبن رشد فى جامعات باريس وبولونيا إلى وقت مارتن لوثر سنة ١٥٤٦ م. وكتب الجراحة العربية المترجمة الى اللاتينية

الى زمن « أمبرواز باريه » الذى مات سنة ١٥٩٠ م، وكان القوم فى أوربا متمسكين بتعاليم الأقدمين ، ولذلك أنكبوا بحماس عظيم على دراسة الترجمات اللاتينية لمؤلفات العرب، وفى سنة ١١٧٠م. ذهب « چيراردى كريمونا » الى طليطلة ودرس العربية وترجم الى اللاتينية نحو سبعين كتابا عربيا منها : كتب الرازى وآبن سينا والزهراوى . وتبعه « چيراردى سابيونيتا » وقد ترجم قانون آبن سينا بأمر فردريك الثانى حاكم صقلية ، وتمت ترجمة أغلب العلوم العربية فى القرن الثالث عشر الذى كان عصر إحياء لعلوم العرب فى أوربا بعد ترجمتها الى اللاتينية حيث أحدثت تطوّرا فكريا أثار لأوربا سبيل البحث والتجربة فيما بعد، وكانت قرطبة موضع إعجاب جميع المتعلمين من أهل أوربا .

وفى ذلك الوقت اضمحلت مدرسة «سالرنو» وقامت فى القرن الثالث عشر جامعات «بالرمو» و «مونبلييه» وتلا ذلك نهوض جامعات « باريس » و « بولونيا » و « أكسفورد » و « بادوا » وغيرها ، كما كان من نتائج النفوذ العربى ظهور عدد كبير من الجامعات فى أسپانيا بعد سقوط قرطبة سنة ١٢٣٦ م . فكان بأسبانيا ست عشرة جامعة قبل نهاية القرن الخامس عشر، وكانت جامعة إشبيلية مخصصة لدراسة العربية ، وامتاز القرن الثالث عشر بسقوط قرطبة و بسقوط خلافة العباسيين فى بغداد سنة ١٢٥٨م. و باصدار فردريك الثانى مرسوما بقانون بشأن تعليم الطب

والترخيص بمزاولة مهنته فى جنوب إيطاليا وصقلية، أما مؤلفات الطب فى أوربا فى القرنين : الثالث عشر والرابع عشر فكانت عبارة عن جمع وشرح للترجمات اللاتينية لكتب العرب ، وقد أثارت معارضة آبن زهر المفكر الكبير والطبيب العظيم لتعاليم «جالينوس» عناية العلماء الأوربيين الذين حاولوا بعد ذلك إعادة بناء علم التشريح من أساسه، وآستمرت مؤلفات العرب تلقى آهتماما بدراستها فى أوربا أعظم من الآهتمام بكتب أبقراط وجالينوس الى القرن السابع عشر .

وفى القرن الخامس عشر آتجهت الأنظار فى أوربا لدراسة العلوم الطبيعية دراسة مبنية على التجربة والمشاهدة ، ومارس المجربون التشريح عمليا فظهر بينهم «فيزاليوس» الذى لم يقبل نظريات التشريح الجالينية المنقولة من الكتب العربية وظهر كتابه فى التشريح سنة ١٥٤٣ م .

ومما يدل على سيطرة العلوم العربية التى سادت أوربا فى تلك العصور أن «شكسبير» أشار فى أشعاره الى أدوية العرب وطبهم فى (رواية عطيل) .

وفى القرن السادس عشر وما بعده حين قامت النهضة فى أوربا «الرينسانس» بدأت العلوم اليونانية تدرس مباشرة من الأصول اللاتينية وقام فى أوربا علماء كثيرون وضعوا أساسا متينا من الأبحاث الأصلية والتجارب بنيت عليه صروح الطب الحديث.

المراجع

١ — عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة — مصر ١٨٨٢

٢ — الفرج بعد الشدة للتنوخى جزء ٢ — مصر ١٩٠٤

٣ — فضل العرب على الجراحة للدكتور حسين الجراوى — ١٩١٧

٤ — آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب للدكتور احمد عيسى — ١٩٢٥

٥ — الطب فى أيام العرب وقوانين الصحة عند المسلمين للدكتور محمود صدقى — ١٩١٠

٦ — المجلة الطبية المصرية — ديسمبر ١٩٢٨

٧ — غابر الأندلس وحاضرها للاستاذ محمد كرد على — ١٩٢٣

٨ — Campbell, Arabian Medicine. 1926 . . . . .

٩ — Puschmann, History of Medical Education. 1891

١٠ — Neuberger, History of Medicine. 1910 . . .

١١ — Freind, The history of Physic. 1750 . . . .

١٢ — Withington, Medical history. 1894. . . . .

١٣ — Edward Browne, Arabian Medicine. 1921. .

١٤ — Ranking, The Life and Works of Rhazes. 1913.

١٥ — Encyclopaedia Brittanica. 1926 . . . . .

١٦ — Berthelot, La chimie au moyen âge. 1896 .

١٧ — Leclerc, Histoire de la Médecine Arabe. 1876.

١٨ — Comptes Rendus, Congrès Inter. de Méd. Trop., Le Caire, 1928. Tome II.

١٩ — Garrison, Introducion to History of Medicine. 1929.

٢٠ — Bernard Dawson, History of Medicine. 1931.

وكان تمام طبع هذه الرسالة بمطبعة دار الكتب المصرية فى يوم السبت ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ (٢٦ سبتمبر سنة ١٩٣١)

محمد نديم

ملاحظ المطبعة بدار الكتب المصرية.

610.953:A39rA:c.1
علي، زكي
رسالة الطب العربي وتأثيره في مدنية
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
31027973

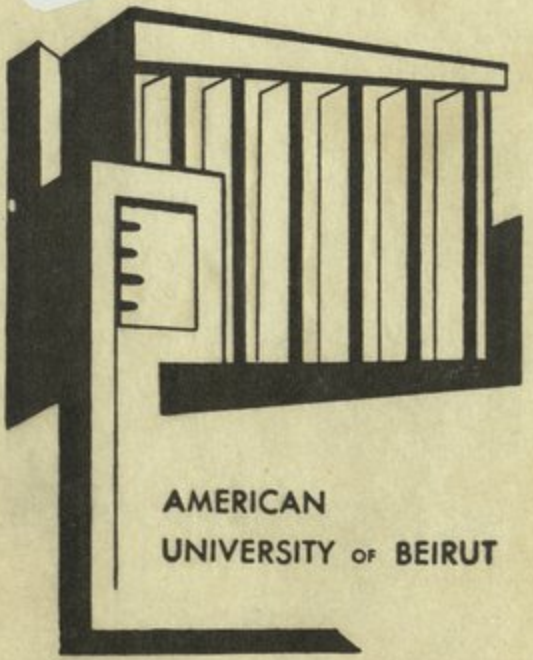

610.953
A39rA
C.1